

الهجرات العربية الإسلامية للسودان وأثرها الحضاري في عهد دولة الفونج (1504 - 1821م)

أ.د. نصرالدين جارالنبی سليمان *

المستخلص:

تناولت الدراسة هجرات العرب المسلمين إلى السودان، وتأثير هذه الهجرات على المجتمع السوداني آنذاك. وهدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على هجرة العرب قبل وبعد الإسلام إلى حين قيام سلطنة الفونج، مع الإشارة إلى الدور العظيم الذي قامت به هذه السلطنة. كذلك هدفت الدراسة إلى تبيان الأثر الحضاري للهجرات في النواحي الإدارية والسياسية والاقتصادية فضلاً عن الأثر الحضاري الفكري المتمثل في النشاط الدعوي لعلماء الدين الإسلامي. حيث استخدم في هذه الدراسة المنهج التاريخي. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها انتشار الإسلام وحضارته في السودان إضافة إلى ظهور العنصر البشري الأفريقي العربي المسلم في السودان بحضارته وثقافته المميزة.

الكلمات المفتاحية:

الهجرات، الفونج، العربية، القبائل، الإسلامية.

* أستاذ - جامعة كردفان - السودان

Arab Migrations to Sudan and Their Civilizational Impact during the Era of the Funj Sultanate

Abstract

The study addressed the migrations of Muslim Arabs to Sudan and the impact of these migrations on Sudanese society at that time. The study aimed to shed light on the migration of Arabs before and after Islam up to the establishment of the Funj Sultanate, with reference to the great role played by this sultanate. Furthermore, the study aimed to clarify the civilizational impact of the migrations in the administrative, political, and economic aspects, as well as the intellectual civilizational impact represented in the missionary activity of Islamic religious scholars. The historical method was used in this study, and the study reached several conclusions, most notably the spread of Islam and its civilization in Sudan, in addition to the emergence of the Muslim Arab-African human element in Sudan with its distinctive civilization and culture.

المقدمة:

- أهمية البحث:

تأتي أهمية الدراسة في أنها تتناول أبرز الظواهر التاريخية التي أحدثت نقلة كبيرة في تاريخ السودان الوسيط والحديث بل المعاصر، هذه النقطة تمثلت في هذه الهجرات العربية الإسلامية التي انطلقت من الشرق والشمال والتي كان لها صدى كبير وفي جميع الأصعدة.

- أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تناول الهجرات من حيث المكان والزمان إضافة إلى تبيان آثارها الحضارية في مختلف مناحي الحياة، وما أحدثته من تحولات في أوساط المجتمع السوداني في ذلك الحين أي في عهد سلطنة الفونج.

- منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي الذي يعتمد على استقراء المعلومة التاريخية من مصادرها وذلك وفق منهجية البحث في مجال علم التاريخ.

- أسئلة الدراسة:

1/ ماهي دوافع الهجرات العربية التي قصدت السودان قبل الإسلام ؟

2/ ما الهدف من هجرات العرب المسلمين إلى السودان ؟

3/ ماهي الأجزاء التي استقر فيها المهاجرون في السودان؟

4/ ما هي النتائج التي أحدثتها الهجرات العربية الإسلامية في السودان؟

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى دراسة عادل علي وداعة بعنوان الصراعات السياسية وأثرها في تفكك مملكة سنار، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي وعلاقة الدراسة السابقة بالدراسة الحالية أن الدراسة تناولت مملكة سنار أو الفونج. وجه الاختلاف أن الدراسة السابقة تناولت انتشار الإسلام في السودان كتمهيد فقط.

الدراسة الثانية دراسة الباحث بابر فضل المولى حسين بعنوان مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية. اتبعت الدراسة المنهج التاريخي. وعلاقة الدراسة السابقة بالحالية أن الدراستين تناولتا دولة الفونج وهجرات العرب المسلمين إلى السودان أما الدراسة تناولت الهجرات وأثرها الحضاري على مناحي الحياة في دولة الفونج.

الدراسة الثالثة دراسة الباحث كرم كمال الدين الضاوي بعنوان ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها. وأثرها في انتشار الإسلام في السودان وادي النيل. والدراسة تناولت الهجرات العربية وأثرها في انتشار الإسلام على وجه العموم.

أما الدراسة الدراسة الرابعة من إعداد نسيم مقار بعنوان اقتصاد السودان في العهد الفونجي وعلاقة الدراسة السابقة بالدراسة الحالية هو العهد الفونجي. فالدراسة تناولت النواحي الاقتصادية في دولة الفونج ولم تتطرق إلى ناحية أخرى من النواحي التاريخية.

والدراسة الخامسة من إعداد المعتصم أحمد الحاج، بعنوان الخلاوى في السودان، تنظيمها ورسومها حتى نهاية القرن التاسع عشر. عرض فيها الجانب التعليمي في عهد الفونج.

المبحث الأول

التوطئة

المطلب الأول: الهجرات العربية إلى السودان قبل الإسلام:

تعتبر الهجرات العربية إلى السودان من أقدم الهجرات البشرية على الإطلاق وذلك لعدة أسباب منها القرب الجغرافي لبلاد العرب من السودان، والعامل الاقتصادي، وقد عرف السودان برخاء العيش ووفرة المراعي وازدهار النشاط التجاري فيه، وقد سلكت هذه الهجرات العربية قبل الإسلام إلى السودان طريقين هامين، هما الطريق عبر البحر الأحمر، وباب المندب، والطريق الشمالي عبر سيناء ومصر، أما الطريق الثاني وهو طريق سيناء والصحراء الشرقية وهذا يخص القبائل العربية التي تقطن شمال الجزيرة العربية.⁽¹⁾

أما الطريق البحر الأحمر وباب المندب، فقد كان معبراً لهجرات كثيرة ومؤثرة، والسودان يواجه الجزيرة العربية ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر كما أن عبور البحر الأحمر في أي جزء من أجزائه لم يكن في يوم من الأيام صعباً. وأن عرب جنوب الجزيرة العربية في مناطق اليمن وحضرموت الذين اشتهروا بالتجارة عبروا البحر الأحمر في فترات بعيدة قبل الإسلام وتعرفوا

(1) محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله، القاهرة 1951م، ص 159-160.

على الساحل الشرقي لأفريقيا على وجه العموم وبلاد السودان على وجه الخصوص، وكان مضيق باب المندب يمثل منفذاً هاماً لهذه الهجرات لأنه مكان سهل العبور، لذلك عبرت منه هجرات متعددة على مر العصور، وإن جماعة من الساميين هاجرت من الجزيرة العربية، وعبرت هذا المضيق وكان لها أثر كبير في تكوين الشعوب التي شكلت سكان وادي النيل قديماً، فبعض قبائل الزوج السودانيين دخلوا أفريقيا من جزيرة العرب عن طريق باب المندب من قديم الزمان حتى استقروا أخيراً في المناطق التي يسكنونها اليوم وهي منطقة المجاري العليا لبحر الغزال في السودان ومنهم النيام نيام والزاندي.⁽¹⁾

يتضح مما سبق ذكره أن طريق البحر الأحمر وباب المندب كان له تأثير كبير في الصلات والهجرات العربية إلى بلاد السودان، وقد تمثل هذا التأثير في جوانب حضارية تتعلق بالتكوين السكاني، والعطاء الحضاري، فالنشابه بين حضارة بلاد النوبة وحضارة عرب اليمن كبير، ويذكر المقرئ في حديثه عن أهل النوبة " أن سلها جد النوبة، ومقري جد المقررة من اليمن، وقيل

(1) Mandour: Ashor't History of sudan. Oxford-1965 p34`

النوبة ومقري من حمير" (1). ويشير أركل إلى أن قبائل البجة في السودان، وقبائل المساي في كينيا وتنجانيقا، وترجع إلى أصول قديمة هاجرت من الجزيرة العربية قبل الإسلام. (2) وإذا صحت هذه الروايات فأنها تؤكد، أن جزءاً هاماً من حضارة العرب وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم عرف في بلاد السودان قبل الإسلام نتيجة هذه الصلات، وأنه ترك بعض الأثر الحضاري (3).

المطلب الثاني: الهجرات العربية إلى السودان بعد الإسلام:

ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي، وبظهوره استجد عامل جديد أدى إلى هجرات عربية واسعة النطاق من أجل نشر الإسلام. وتم فتح بلاد العراق والشام ثم فتحت مصر سنة 639م. وفتحت مصر اتجهت سياسة العرب نحو السودان حيث كانت ممالك النوبة المسيحية تهدد حدود مصر وتجارها، وبلاد النوبة تربطها صلة الدين بأقباط مصر، وهي على قدر كبير من القوة والخطر (4) كانت أول حملة إسلامية لبلاد النوبة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فقد

(1) المقرئزي أحمد بن علي، الخطط المقرئزية، ج1، مطبعة النيل مصر، 1324هـ - ص 309.

(2) Arkil:A.L.Ahstory of the sudan 1961.p22

(3) بابكر فضل المولى، مظاهر الحضارة في دولة الفونج، الطبعة الأولى الخرطوم، 2004 ص 29.

(4) (اليقوبى، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليقوبى ج1، القاهرة 1971 ص 166.

كتب إلى عمرو بن العاص عامله بمصر بمحاربة النوبة وبالفعل أرسل حملة تجاه بلاد النوبة بقيادة عقبة بن نافع والذي حقق نجاحاً محدوداً في ذلك، وفى كي خلافة عثمان بن عفان قاد عبدالله بن سعد أبى السرح والي مصر — (1) حملة إلى بلاد النوبة سنة (31هـ / 652م) توغلت حتى دنقلا وحاصرتها حصاراً شديداً وحينئذ طلب من النوبة الصلح وبالفعل تم ذلك في الاتفاقية التي سميت (البقط) وفيها عاهد المسلمون النوبة بالأمان وأن يدخلوا بلادهم مجتازين غير مقيمين، وعلى النوبة حفظ من نزل بلادهم من المسلمين أو المعاهدين، وعليهم حفظ المسجد الذي بناه المسلمون في دنقلا وكنيسة وإسراجة وتكرمته وأن لا يمنعوا عنه مصلياً، وعليهم أن يدفعوا ثلاثمائة وستين راساً من الرقيق كل عام، وألزم المسلمون أنفسهم بهدية من الحبوب والملابس يدفعونها لملك النوبة لما شكا من قلة الطعام في بلدة. (2)

ويتضح مما سبق ذكره أن المسلمين مالوا للسلم استناداً لمبدأ إسلامي مأخوذ من الآية الكريمة " وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ". (3) خاصة وأن النوبة طلبوا الصلح فاكتفى المسلمون بإملاء هذه

(1) مكي شبكية، السودان عبر القرون، دار الثقافة بيروت 1964 ص30.

(2) مكي شبكية، مرجع سابق 1964 ص30.

(3) سورة الأنفال، آية رقم (16)

الاتفاقية التي كان من أهم شروطها تحقيق الحرية الدينية ممثلة في حفظ المسجد وعدم التعرض للمصلين فيه ومن هذا المنطلق بدأ الإسلام ينتشر في بلاد النوبة وهذا هدف المسلمين الأول، إضافة للأهداف السياسية والاقتصادية. التي جناها

العرب المسلمون في ظل هذه الاتفاقية والتي استمرت لستة قرون وبعدها انهمرت سيول العرب المهاجرين داخل السودان، ونتيجة لذلك انتشر الإسلام في ربوع السودان.

أما البجة في شرق السودان فأول من فكر في غزوهم من المسلمين عبدالله بن سعد بن أبي السرح ولكنه تركهم لما علم أنهم لا يحكمون بملك فلم يكن عقد ولا صلح. وفي القرن الثامن الميلادي انتهت حملة عبدالله بن حجاب بمعاودة يدفع بموجبها البجة ثلاثمائة بكر كل عام مع مراعاة حسن الجوار، ولكنهم نقضوا العهد فغزاهم النابغي بن قيس ولكنهم عادوا لمهاجمة، أسوان، وفي عهد المأمون العباسي غزاهم عبيدالله بن الجهم وانتهى أمرهم بكتابة عهد جديد مع كنون بن عبدالعزيز رئيس البجة. ومن أبرز بنوده أن تكون بلاد البجة ما بين أهلك وباضع ملكاً لخليفة المسلمين وأن كنون ابن عبدالعزيز ملكاً عليها، وأن يؤدي ملك البجة الخراج كل عام مائة أو ثلاثمائة دينار وإذا دخل أحد المسلمين بلاد البجة تاجراً أو مقيماً أو مجتازاً، أو حاجاً فهو آمن، وأن لا

يهدم البجة شيئاً من المساجد التي بناها المسلمون في سائر بلاد البجة (1). ويبدو مما سبق أن الهجرات العربية الإسلامية انتشرت بصورة واسعة ودخلت السودان قبائل ربيعة وجهينة وهوزان بدافع الضغط الاقتصادي والسياسي في مصر وقد أشار المسعودي إلى هذه الهجرات بقوله: " وسكن جماعة من المسلمين بجوار معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب، وسكن في تلك الديار خلق من العرب ربيعة بن نزار فأشتدت شوكتهم وتزوجوا في البجة ففويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من جاورها. (2)

وظلت هذه الاتفاقية مع البجة، إلى جانب اتفاقية البقط مع النوبة، تنظمان العلاقات سلماً وحرباً بين مصر والسودان بينما استمر الوجود الإسلامي العربي بتزايد في بلاد البجة والمناطق المجاورة الأمر الذي أدى إلى نشر الإسلام والعروبة في هذه الأجزاء من السودان حيث أمتد ذلك وشمل أجزاء من الوسط والغرب والجنوب. وزادت الهجرات العربية في عهد الإخشيديين والفاطميين، حتى قامت أول إمارة عربية فب منطقة أسوان وشمل نفوذها وادي العلاقي وامتدت جنوباً حتى أرض مريس، وكان مؤسسها هو بشر بن

(1) بابكر فضل المولى، مرجع سابق ص32-33.

(2) (المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ج1 الطبعة الرابعة بيروت 1981م ص438.

إسحق والذي وصف المسعودي قوته التي تتكون من ربيعة وأحلافها من مصر واليمن وثلاثين ألفاً من البجة الحدارية، ثم انتقلت هذه الإمارة إلى أسوان التنب قادها أحد بنى أمية وهو أبو ركوه فأكرمه الحاكم بأمر الفاطمي، وخلع عليه لقب كنز الدولة وكان لهذه الإمارة دور كبير في العلاقات بين مصر وبلاد النوبة والبجة.⁽¹⁾ وفي عهد المماليك تبنى السلطان بيبرس قضية أمير نوبي يسمى شكندة جاء متظلماً ومطالباً بعرش النوبة، فأرسل بيبرس حملة أقامت شكندة، وقبل الشروط التي أملاها عليه الجيش الفاتح، وأهمها أن يكون شكندة تابعاً للسلطان ونائباً عنه في حكم بلاد النوبة، وأن يسلم نصف دخل بلاده للسلطان، وأن يدفع كل بالغ من شعبه دينارين جزية إذا بقي على النصرانية.⁽²⁾

ويبدو مما سبق أن بلاد النوبة وبلاد البجة أصبحتا تابعتان للدولة الإسلامية ومنذ ذلك الحين بدأ التأثير في جميع مناحي الحياة وذلك نسبة للامتزاج والتصاهر بين القبائل العربية الواحدة والقبائل المستوطنة الأمر الذي أدى إلى انتشار الإسلام وحضارته في أواسط المجتمع السوداني.

(1) ابن الاثير علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج9، طبعة مصر، 1311هـ - ص 83-84.

(2) يوسف فضل حسن دراسات في تاريخ السودان ج1 دار النشر الخرطوم ص50

في سنة 1311م مات ملك النوبة أماي قتيلاً وخلفه أخوه كرنبس على العرش، فأمنّ عن دفع الجزية. فأرسل الناصر محمد بن قلاوون حملة استطاعت أن تتوج سيف الدين عبدالله برشمبو أول ملك مسلم على بلاد النوبة المسيحية عام 1317م وهو أحد الأمراء النوبيين اللاجئين في القاهرة وأعتنق الإسلام هنالك.⁽¹⁾

ومنذ ذلك التاريخ قل ذكر بلاد النوبة في المصادر العربية إلا إشارات عابرة، وبسقوط مملكة النوبة وغلبة الإسلام عليها انفتح الباب أمام الهجرات العربية، ولما قامت مملكة الفونج لم يكن لبلاد النوبة حكم موحد وإنما وحدات إقليمية وقبلية.⁽²⁾

(¹) يوسف فضل حسن، مرجع سابق، ص52.

(²) مكي شببكة، مرجع سابق ص53.

المبحث الثاني

أثر الهجرات العربية في الأحوال السياسية والاقتصادية

المطلب الأول: أثر الهجرات العربية على قيام دولة الفونج:

كان سقوط مملكة المقررة المسيحية على يد العرب المسلمين واعتلاء عرشها ملك مسلم تمهيداً لتحول السلطة في كل أقاليم السودان الأوسط والشمالي للقبائل العربية المسلمة، وقد مرت فترة ليست بالقصيرة حتى قيام مملكة الفونج الإسلامية في سنة 1504م وعلى أثر ذلك تكاثر العرب في وسط السودان على وجه العموم وفي إقليم علوه على وجه الخصوص، وبرز وجود العرب بصورة واضحة حتى طغى على السكان الأصليين وانتشر الإسلام وحضارته بصورة واسعة.⁽¹⁾

يعتبر سقوط مملكة علوة المسيحية إعلاناً رسمياً لقيام دولة الفونج الإسلامية لذلك اتجه كل من عمارة دنقس وعبدالله جماع إلى تأسيس الدولة وتنشيط دعائم النظام الذي اتفقا عليه في الحكم والإدارة، والذي نتج عنه تقسيم السلطة بأن يكون عمارة دنقس رئيس الدولة وملكاً عليها، ويكون عبدالله جماع نائبه ووكيله في النصف الشمالي منها واتخذ عمارة سنار عاصمة له، كما اتخذ

(1) مندور المهدي، تاريخ السودان من أقدم العصور إلى قيام الأحزاب السياسية الطبعة الثانية، الخرطوم 1960 ص63.

عبدالله جماع قريعا صمة له، وبذلك فقد شهد تأسيس الدولة قيام أهم مدينتين في دولة الفونج الإسلامية وهما سنار وقرى.⁽¹⁾

وتعتبر دولة الفونج أول دولة إسلامية في السودان وقيامها كان إعلاناً رسمياً لانتشار الدين الإسلامي والسيطرة العربية وذلك نتيجة للهجرات العربية الواسعة على أجزاء كبيرة من السودان وبهذا الانتصار الإسلامي العربي. وبدأ اتصال السودان ببقية الأقطار الإسلامية والعربية، ولأول مرة يتم توحيد كل سودان وادي النيل، شمال المستنقعات الاستوائية وحتى حدود مصر منذ العهد المروي على يد عمارة دنقس.⁽²⁾ وهذه النتائج الداخلية تعتبر منعطفاً هاماً في حياة السودان السياسية والدينية والاجتماعية وتأثيراً حضارياً عظيماً على السودان في تلك الفترة. أما على الصعيد العملي فقد ظهرت دولة الفونج منذ قيامها بمظهر إسلامي عميق اتخذت منه صفة الجهاد للقضاء على مملكة علوة المسيحية، إذ قيامها ارتبط بمرحلة تاريخية هامة في البلاد الإسلامية شهدت عدة أحداث ولهذا فقد اعتبر قيام دولة الفونج استمراراً لحركة الجهاد

(1) بابكر فضل المولى، مرجع سابق ص 75 - 76.

(2) مكي شببكة، مرجع سابق ص 3 - 4.

الإسلامي كجهاد العثمانيين في البلغان، وجهاد المغاربة ضد الغزاة الأسبان والبرتغاليين وجهاد مسلمي شرق أفريقيا لدفع الخطر الصليبي.⁽¹⁾

وكان سقوط الأندلس 1492م على أيدي المسيحيين حادث حزين في العالم الإسلامي ولهذا فإن ظهور دولة عربية إسلامية على أنقاض دولة مسيحية في السودان، كان بلسماً لجراح المسلمين، مما جعل بعض المهاجرين من الأندلس يتجهون إلى السودان ومنهم جد الشيخ حسن ود حسونة.⁽²⁾

أثر الهجرات الحضاري في نظام حكم الفونج:

اختار عمارة دنقس وعبدالله جماع النظام الملكي في حكم الدولة، وبموجب هذا النظام أصبح عمارة دنقس ملكاً على دولة يمارس سلطانه من عاصمته التي أختارها وهي سنار، بينما يكون عبدالله جماع وقومه نواباً عنهم في إدارة الأقاليم التابعة لهم في القسم الشمالي من الدولة وعليهم المحافظة على الأمن وجمع الضرائب وقيادة الجيوش.⁽³⁾

ولم يكن مثل هذا النظام الملكي أمراً جديداً في السودان فقد كانت مملكتنا المقررة وعلوة تمارسان نظاماً ملكياً، وهذا مما هيأ للدولة الجديدة أن تأخذ بمثل

(1) عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، التربية في السودان ج1، القاهرة 1949.

(2) ود ضيف الله محمد النور، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل دار النشر الخرطوم 1974 - ص134.

(3) أحمد الحنفاوى، سودان وادى النيل فى ظل الاسلام، دار المعارف القاهرة 1982 ص 126.

هذا النظام الذي كان مألوفاً في البلاد. كذلك كان معروفاً عند العرب وسائد في الممالك العربية القديمة في اليمن والعراق والشام، كما أن النظام الوراثي في الحكم عرف في الدولة الأموية وفي عهد معاوية بن أبى سفيان. وقد انحصر نظام الوراثة في دولة الفونج داخل العائلة المالكة وهم الفونج، ولم يكن النظام الملكي الوراثي في سنار نظاماً مستبدّاً وإنما نظاماً يأخذ بالشورى والذي يأخذ جذوره من الفكر الإسلامى والفكر العربى.⁽¹⁾

ويطلق على مملكة الفونج أسماء متعددة، فهي، إلى جانب مملكة الفونج يطلق عليها أحياناً سلطنة الفونج، أو سلطنة سنار، نسبة إلى عاصمتها سنار، وتسمى أيضاً السلطنة الزرقاء، وهذه التسمية إنما تشير إلى أن الفونج كانوا يتميزون بالبشرة السوداء، وتسمية دولة الفونج بالسلطنة يشير إلى الصفة الدينية الغالبة على اتجاه الدولة، و إلى هذا يذهب عبدالحميد متولى فيقول " كان سلاطين الفونج يحرصون على أن ينظر إليهم باعتبارهم حراساً للدين لذلك وجدناهم يعنون أشد العناية، بأن يتخذوا لأنفسهم لقب سلطان الإسلام أو سلطان

(1) أحمد شلبى، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج6 الطبعة الأولى مكتبة النهضة القاهرة 1976 - ص318.

المسلمين أو خليفة رب العالمين.⁽¹⁾ ويتضح مما سبق ذكره أن حكام الفونج تأثروا إلى حد كبير بالنظم السياسية الإسلامية التي سادت في دول العالم الإسلامي وذلك عن طريق هجرات المسلمين المستمرة والتي زادت واتسعت في عهد الفونج.

أما عن نظام الحكم في مملكة الفونج فهو يقوم على الحكم اللامركزي، فالدولة مقسمة إلى أقاليم وأن حكام الأقاليم كانوا يجتمعون في بلاط السلطان، فالزعيم المحلي أو حاكم الأقاليم يختلف في سلطاته تبعاً لوضعه في السلطة فالمانجل (حاكم الإقليم) العبدلابي كانت سلطاته واسعة جداً، ويكاد يكون مشاركاً في السلطة مع الفونج، لأنه كان مسؤولاً عن قسم كبير في الدولة وكل زعيم من بقية الزعماء المحليين، يمارس سلطات مع التابعين له، وكان الشيخ العبدلابي مسؤولاً عن الديار التابعة له، ويمارس فيها نفس المسؤوليات والسلطات التي يمارسها الملك فيما يتبع له من الأقاليم وكان مسؤولاً عن تعيين المشايخ التابعين لهم وعزلهم وإخضاع من يتمرّد منهم، ويقوم بشؤون الإدارة المختلفة وله حق جمع الضرائب والعشور والزكاة، وله الإشراف العام على كل المناطق التابعة له، ويتحصل على بعض المكوس من القوافل التي

(1) عبد الحميد متولي، تطور نظام الحكم في السودان منذ أقدم العصور، ج1، ط1، جامعة أم درمان الإسلامية، 1969م - ص116..

تمر من منطقة لأخرى، ويدفع جزءاً من حصيلته العينية إلى خزينة السلطان في سنار.⁽¹⁾

المطلب الثاني: أثر الهجرات الحضارية في النظام الاقتصادي للفونج:

تعتبر دولة الفونج من الدول التي تمتعت بظروف اقتصادية طيبة شملت مختلف ضروب النشاط الاقتصادي كالتجارة والزراعة والرعي، وقد اشتهرت سنار بالثروة والغنى، وقد كان التنظيم الاقتصادي في عهد الفونج انعكاساً لسياسة الدولة الإسلامية الناشئة. فقد أصبحت مظاهر الاقتصاد في كثير من جوانبها إسلامية خالصة وأخذت الدولة بالنظام الضريبي الإسلامي المتمثل في الزكاة والعشور والخراج كما أخذت بنظام بيت المال الإسلامي وموارده المختلفة كما أصبح نظام ملكية الأرض مشابهاً لنظام الملكية في النظام.

أما عن التجارة فقد عرف السودان منذ القدم بازدهار التجارة وكثرة السلع التجارية، وكانت التجارة وراء كثير من العلاقات السياسية والاجتماعية بين السودان وجيرانه سلماً أو حرباً في كثير من العصور. وكانت مصر تتصل بالسودان بقافلتين سنار ودارفور، الأولى تبدأ سفرها من مصر وتشق صحراء العثمور إلى أن تتصل بالنيل في بربر وتأخذ طريقها مرة بشندي حتى تصل سنار، والثانية تبدأ سفرها من مصر مرة بالوحدات الخارجة والداخلية إلى

(¹) أحمد الحنفاوى، مرجع سابق 165.

سليمة ومنها إلى الفاشر. وهناك طريق قوافل ثالث كان يبدأ من شندي أو من بربر ويسير إلى سواكن، ويربط السودان ببلاد العرب والهند وجزر الهند الشرقية، وداخل دولة الفونج تسير القوافل من مكان إلى آخر على الطرق الداخلية و إلى جانب ذلك كانت المراكب الشراعية التي تسير على نهر النيل وسيلة من وسائل النقل.⁽¹⁾

هذه الحركة التجارية كان وراءها القبائل العربية التي هاجرت إلى السودان وعرفت الممالك والمسالك فيه فضلاً عن أنها امتزجت مع أهله وتصاهرت معهم، وأثرت تأثيراً عظيماً بثقافتها، إضافة على ذلك قامت بنشر الإسلام وحضارته في ربوعه بفضل المجهودات التي قدمها التجار العرب في المجال الاقتصادي والاجتماعي وذلك عن طريق الاندماج والتصاهر مع المجتمع. اشتهرت مدينة سنار كمركز تجاري مهم بصفاتها حاضرة الدولة، وعرفت بالثروة، وكان التجار يأتونها بالبضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الأحمر وكان لباشوات سواكن ومصوع من العثمانيين وكلاء تجاريون في سنار وأربجي، ومن المراكز المهمة مدينة شندي وبربر والدامر وقرى حاضرة العبدلاب.⁽²⁾

(1) ود ضيف الله، الطبقات 209.

(2) بابكر فضل المولى، مرجع سابق، 165

مجمل القول أن النظام الإقتصادي في عهد الفونج ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظم الإسلامية في المعاملات في البيع والشراء وتحريم الربا والغش والاحتكار وتسهيل القروض، والنظام الضريبي في الدولة رغم مظاهر البساطة التي اتسم بها إلا أنه تأثر إلى حد كبير بالنظام الضريبي في الإسلام فهو يقوم على الزكاة والعشور والجمارك والضرائب المختلفة وكلها عرفت في الدولة الإسلامية في صدر الإسلام.

المبحث الثالث

الأثر الحضاري للهجرات على النظام الاجتماعي والفكري في عهد الفونج

المطلب الأول: أثر الهجرات الحضاري على النظام الاجتماعي في عهد

الفونج:

بدخول الإسلام والهجرات العربية، تحول نظام المجتمع في السودان إلى نظام القبيلة العربية، وهو نظام اجتماعي ينظم حياة الأسر والأفراد ويحرص على الانتساب للقبائل العربية، وأما السكان الأصليون فلم يسعهم إلا أن يخضعوا لهذا النظام القبلي، وينضموا للقبائل التي تسكنهم الديار وهذا لا يمنع أن بعض الأسر من النوبة أو البجة أو غيرهم لا تنتمي لقبيلة والرابطة بين أفراد القبيلة رابطة قوية تتعدى الجوانب الاجتماعية إلى الروابط الاقتصادية والسياسية، فالقبيلة بشيخها تعتبر وحدة محلية، ومن هنا كانت أكثر أقاليم الدولة تدار بنظام القبيلة. سواء كانت القبيلة مترحلة أو مستقرة في قرى أو مدن، ويأتي الولاء للقبيلة قبل الولاء للدولة، مما قد يؤدي أحياناً إلى خلع سلطة الدولة لحساب الروح القبلية.⁽¹⁾

وقد عمل الإسلام على الاندماج القبلي بما أقامه من نظم اجتماعية تكسر الحواجز بين القبائل وتنظيم انتمائها على أساس العدالة والتعاليم الإسلامية

(1) بابر فضل المولي، مرجع سابق، ص 166 - 167.

التي تعمل لتعديل الأنساب، وقد كان للمجتمعات الصوفية أثر واضح في كسر حدة النظام القبلي إذ أوجدت نوعاً من التجمع على أساس فكري نواته شيخ الطريقة، ويصبحون تحت لواء الشيخ أسرة واحدة، وهكذا بدأت تتكون الوحدات المحلية للمجتمع السوداني في عهد الفونج، سواء على المجتمع القبلي أو الصوفي وأصبحت تمثل القطاع العام للشعب في القرى والأقاليم، وتمارس معظم الحرف الرئيسة التي تعتمد على اقتصاد الدولة، وهي الرعي والزراعة و التجارة وكانت هذه الوحدات تتخذ مساكنها من القش أو الطين وتعيش حياة اجتماعية بسيطة ومتواضعة وأصبحت القرية هي الخلية الأولى في بنية المجتمع السوداني.⁽¹⁾

وتتلوها المدينة الصغيرة، وثم المدينة الكبيرة في التدرج حتى العاصمة سنار، وتمارس القرية حياة اجتماعية أشبه بالأسرة الممتدة مع تنوع الأدوار فيها، فهناك الشيخ رئيس القرية، وهو غالباً رئيس القبيلة يعاونه فقيه القرية وبقيه زعماء القبيلة أو كبار القرية.

أما العادات والتقاليد من أهم المظاهر الاجتماعية في عهد الفونج، حيث ترسخت بالتدرج

(1) عبدالحميد متولى، مرجع سابق ص 121

عادات وتقاليد ومظاهر اجتماعية نابعة من الإسلام. ومرتبطة بما هو سائد في البلاد الإسلامية عامة، وقد حدث تفاعل بين ما هو جديد من عادات المسلمين وما كان قائماً في المجتمع المحلي مما أدى إلى بقاء بعض العادات أو تعديلها، أو القضاء عليها نهائياً وحلول عادات جديدة وفي هذا الشأن يقول أحمد شلبي "إن الحضارة الإسلامية التقت بالتقاليد المحلية في أفريقيا، وصارعتها فقضت على ما يخالف الإسلام فيها واحتفظت بالتقاليد الأخرى فعدلتها حتى تتماشى مع الدين الإسلامي". وأعطى الإسلام في تشريعاته الفرصة للوفاق والامتراج الحضاري.⁽¹⁾

أما الاحتفالات بالأعياد في عهد الفونج كان مشابهاً للأعياد في البلاد الإسلامية كعيد الفطر وعيد الأضحى وكانت مظاهر الاحتفالات إسلامية إلى حد كبير، فعندما انتصر جيش سنار على الأحباش أقاموا الموائد وذبحوا الولائم ونشروا الحرير وزينوا المساجد والسواقي سبعة أيام، وأصبحت عادات الزواج والأفراح وما يرتبط بها تشابه الطريقة الإسلامية في كثير من جوانبها. كما أصبح الكرم والترحاب وبذل الطعام من العادات المشهورة في السودان انطلاقاً من المثل الإسلامية والعادات العربية.⁽²⁾

(1) أحمد شلبي، مرجع سابق، ج 6 ص 709.

(2) نعم شقير، مرجع سابق ج 2 ص 415.

احتوى المجتمع في عهد الفونج من عدة طوائف دينية منها المسيحي ومنها اليهودي وجميعهم يعيشون في أمن وأمان، ولم تكن هناك حوادث اضطهاد ديني من المسلمين على النوبيين بسبب العقيدة، وإنما تحول النوبة إلى الإسلام بما يدل على التسامح الديني ومما يدل على ذلك أن الملك عمارة دنقس عامل روبيني اليهودي عندما انكشف أمره وحامت حولة الظنون، معاملة حسنة، وسمح له بالسفر مكرماً، كما روى بعض الرحالة الأجانب أن بعض الأقباط كانوا يعملون كتاباً لدى ملوك سنار والمكوك، أو يعملون تجاراً أو وكلاء للملوك.⁽¹⁾

ويبدو مما سبق أن الحرية الدينية كانت مكفولة لغير المسلمين وهذا لا يتعارض مع محاولات الدولة وشعبها لنشر الإسلام في المناطق الوثنية وغيرها وقد كان مجتمع الفونج متمسكاً بالإسلام فعندها يقابلهم مسيحي في الطريق ينطقون بالشهادة وليس في ذلك ما يقلل من تمتع هذه المجموعات بالحرية الدينية إذ هو من قبيل الدعوة للإسلام.⁽²⁾

خلاصة القول أن السماحة الدينية ظهرت بصورة واضحة في عهد الفونج وهي ديدن المسلمين في صدر الإسلام وفي كل الدول التي فتحوها وهاجروا

(1) فاننتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة، الخرطوم 1978 ص 197

(2) بابكر فضل المولى، مرجع سابق ص 202.

إليها، فالعرب الذين نزلوا مصر تسامحوا مع أقباطها والنتيجة انتشار الإسلام بصورة واسعة في ربوع مصر. كذلك تسامح العرب المهاجرين مع النوبة في السودان نتيجة لذلك انتشر الإسلام وحضارته في السودان وهذا دليل على تمسك الفونج بالتعاليم الإسلامية.

المطلب الثاني: الأثر الحضاري للهجرات على الحركة الفكرية في عهد الفونج:

كان قيام دولة الفونج الإسلامية ووجود السلطة في يد حكام مسلمين - عاملاً مهماً من عوامل نشاط الدعوة الإسلامية وكانت الدولة تقوم بتشجيع العلماء والفقهاء على جذبهم للسودان كما كانت تقدر الإشراف ورجال الدين الوافدين من الخارج وتغدق عليهم المنح والعطايا وإقطاعات الأراضي، ومن ذلك ما يرويهِ صاحب الطبقات من أن المضيوي بن الشيخ محمد المصري لما زار الملك في سنار، فرق الديوان لاجله (أي فض المجلس) وقام إليه وعانقة وعاتبه بقوله "تقعد إلى أن تشيب حتى تجيني، قالوا لك ما بيبكرم العلماء؟" ثم أجزل له العطايا كل يوم وسيره إلى الحج.. كما أن أهل البلد أكرموا من الملك. وفي عهد الشيخ عجيب الذي شجع النهضة الدينية " بنى رواق

للسنارية في المدينة المنورة وأخرى في الأزهر، وأكرم العلماء والصالحين وأقطعهم الأراضي وقبل شفاعتهم.⁽¹⁾

فالعلماء الذين هاجروا إلى السودان وأثروه فكرياً وحضارياً هم أكثر ومن بلدان عدة أشهرها مصر وخاصة في عهد الفونج وإلى هذه الحقيقة يشير عبدالعزيز أمين عبدالمجيد بقوله " أن مصر هي المصدر الأساسي والأكبر للثقافة الإسلامية التي ظهرت بالسودان في القرن العاشر الهجري سواء أكان ذلك بقدوم العلماء المصريين أو برحلة السودانيين للتعلم في الأزهر "⁽²⁾ ولهذا فإن الصلة بين السودان ومصر كانت هي الأقوى منذ القدم ومنذ دخول العرب السودان، وقد اتخذت هذه الصلة ثلاثة مظاهر حضارية مهمة وواضحة في عهد الفونج أولها هجرة السودانيين إلى الأزهر لتلقي العلم وثانيها هجرة الرواد من العلماء والفقهاء إلى بلاد السودان، وثالثها الصلات الثقافية المتمثلة في الارتباط الفكري والثقافي بين علماء دولة الفونج وبين الأزهر الشريف.⁽³⁾ أما هجرة السودانيين إلى مصر فمن أهم الذين تعلموا في مصر الشيخ العركي تلميذ الشيخ اللقاني المتوفى سنة 935هـ، وقد سكن منطقة النيل

(1) مكي شبكية، مملكة الفونج الإسلامية، القاهرة 1963 - ص40.

(2) بابكر فضل المولى، مرجع سابق ص202.

(3) عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، مرجع سابق ص70.

الأبيض، وأنشأ الخلاوى ومدارس القرآن. وكان له ما بين الخرطوم والكوة سبع عشرة مدرسة، وهاجر إبراهيم البولاد أكبر أولاد جابر الأربعة وتتلّمذ على الشيخ محمد المنوفلي، وهو عالم مصري حجة في مذهب المالكية ويشار إليه بالبنان وكان إبراهيم البولاد أول من درس مختصر الشيخ خليل بن إسحق ولد صغيرون الذي بلغت حلقة ألف طالب وتلامذته صاروا شيوخ الإسلام. أما العماء الذين هاجروا من مصر إلى السودان فمنهم الشيخ يوسف الزرقاوي وقد استقر ببربر في منتصف القرن العاشر وبنى مسجده لتدريس الرسالة والعقائد والنحو وسائر العلوم. والشيخ محمد بن علي بن قرم نزل أيضا ببربر وكان شافعي المذهب، تخرج على يده علماء أفذاذ منهم الشيخ دشين قاضي العدالة الشافعي المذهب والشيخ عبدالرحمن ولد حمدتو والشيخ إبراهيم الفرصي، والشيخ جويده صاحب المنظومة.⁽¹⁾

أما عن الهجرة من وإلى بلاد الحجاز في ذلك الحين كان لها أثر حضاري عظيم في عصر الفونج فالحجاج السودانيون، كانوا يشجعون بعض العلماء والرواد لزيارة السودان، وقد أورد التونسي أسباب توجه جده إلى سنار في القرن الثامن عشر الميلادي بأن جماعة من أهلها إلتقوا به بعد الحج وتوددوا إليه وطلبوا منه أن يسافر معهم إلى جزيرة سنار وهناك قابلوا به الملك

(1) ود ضيف الله، مصدر سابق ص74، 100، 354، 355.

وأعلموه أنه رجل من أهل العلم، فرحب به وأكرمه غاية الإكرام، فاستقر بسنار ونسي أهله بتونس وأولاده الصغار.⁽¹⁾

وذكر ود ضيف الله أن الشيخ محمد بن عدلان الشايقي درس العلم على الشيخ عبدالله المغربي عالم المدينة المنورة وعاد للسودان ونشر العلم في دار الشايقية وجزيرة الفونج، ثم يصفه بأنه أوقد نار القرآن ونار الكرم ونار علم المنقول وعلم الكلام، وعلم المنطق، وعلم أصول الفقه، وعلم اللغة العربية والصرف. وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وأمر بوجوب معرفة الله بالدليل والبرهان، وانتفع الناس بعلمه وتصانيفه، وشدت إليه الرحال في سائر الأقطار، ومن تصانيفه عقيدة الأشعرية وشرحها، ومدار علم الكلام في الجزيرة وغيرها.⁽²⁾

ومن الذين نهلوا العلم من ملكة الشيخ محمد بن محمد المجذوب الذي أسس بعد عودته من مكة فرعاً للشاذلية في الدامر وسميت طريقته بالمجذوبية وفي أواخر عهد الفونج أدخل الشيخ محمد عثمان الميرغني، الطريقة الختمية في

(1) محمد بن عمر التونسي، تشحيذ الازدهان بسيرة بلاد العرب والسودان المؤسسة المصرية القاهرة 1965 ص 30-31.

(2) ود ضيف الله، مصدر سابق ص 359-36

السودان سنة 1817م ولاقت قبولاً في بعض مناطق السودان وخاصة الشرق⁽¹⁾.

أما بلاد المغرب والأندلس فقد هاجر منها مجموعة كبيرة من العلماء المغاربة ومنهم الشيخ عبد الكافي المغربي الذي تتلمذ عليه الشيخ إدريس بن الأرباب فعلمه الصوفية ومنهم الشيخ الحاج موسى، جد الشيخ حسن ود حسونه الذي رحل إلى الجزيرة الخضراء من جزائر الأندلس وتزوج في المسلمية، والشيخ دفع الله ابن مقبل الذي قدم من دار الغرب ومعه الفقيه محمد ود فكرون، وسعد ود شوشاي. أما أكثر الذين تركوا أثراً من الذين هاجروا من المغرب فهو الشيخ التلمساني المغربي الذي " قدم علي الشيخ محمد ود عيسى سوار الذهب وسلكه طريق القوم، وعلمه علم الكلام وعلوم القرآن من تجويد وروايات ونحوها وانتشر علم التجويد في الجزيرة، وكأن قدومه السودان في أواخر القرن العاشر الهجري أو أوائل الحادي عشر على أصح الأقوال⁽²⁾.

الطرق الصوفية في عهد الفونج:

يعتبر انتشار الطرق الصوفية في عهد الفونج من أعظم نتائج الهجرات الإسلامية العربية إلى السودان، هذه الطرق كانت منتشرة في البلاد العربية

(1) بابكر فضل المولى، مرجع سابق ص 209.

(2) ود ضيف الله، مصدر سابق 134،42،206.

والإسلامية المجاورة، وانتشرت في السودان بدءاً بالطريقة الشاذلية، ثم القادرية وغيرها، ووجدت هذه الطرق ومشائخها الترحيب من كثير من السودانيين ورحب بها ملوك الفونج، وأصبحت كل قرية سودانية لا تكاد تخلو من فرع لطريقة من الطرق، كما نجد أن علم التصوف أصبح واحداً من المناهج التي تدرس في المساجد والخلوى.⁽¹⁾ فالطريقة الشاذلية هي طريقة أبي الحسن الشاذلي ولد بشاذلة في تونس وانتشرت طريقته في مراكش على يد عبدالله محمد بن سليمان الجزولي مؤلف كتاب دلائل الخيرات وقد نزع زوج ابنته حمد أبي دنانة وابنه السيد بن الحسن وسكنها في سقادي (المحمية) بمنطقة شندي وانتشرت طريقته في عهد الفونج على يد الشيخ خوجلي عبدالرحمن المحسي.⁽²⁾

أما الطريقة القادرية وهي تنسب إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني ودخلت السودان عن طريق الشيخ تاج الدين البهاري، أما الطريقة المجذوبية وهي تفرعت من الطريقة الشاذلية حيث اشتهر الشيخ حمد بن المجذوب بعد عودته من مكة بتأسيس فرع الشاذلية في الدامر وسمي أنصاره المجاذيب. وقد مر بوركهارت بالدامر " فرأى مسجداً كبيراً، ومحلة للفقراء من الدراويش الذين

(1) عبدالمجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان، دار الثقافة القاهرة 1967 ص62.

(2) المرجع نفسه ص67.

يحرمون على أنفسهم كل لون من ألوان الترف أو رغد العيش، ويلتزمون بالشرعية التزاماً حرفياً⁽¹⁾.

يتضح مما سبق أن الطرق الصوفية انتشرت في السودان كله وذلك بواسطة المساجد والخلوى في عهد الفونج، حيث عملت تلك الطرق على التقريب بين القبائل والأجناس إذ دخل الناس في مختلف أنحاء السودان إلى الربط والزوايا للاتصال بالشيوخ وتلقي العلم عنهم، لعل هذا الانتشار الواسع يرجع الفضل فيه إلى الفونج الذين شجعوا رجال التصوف وأعانوهم ونالوا من رعايتهم الشيء الكثير، وقد اتخذت الصوفية طابعاً محبباً إلى عامة الناس ولعل هذا يفسر انقسام الثقافة الصوفية في السودان إلى جانبين، الجانب النظري، وهو الإنتاج العلمي الصوفي الذي امتازت به طبقة كبار المتصوفة والجانب العملي، وهو الجانب الذي امتازت به طبقة الأتباع، وكان لشيوع هذه الثقافة الصوفية وغلبتها أبعد الآثار في مستقبل الثقافة الدينية في السودان، لأن هؤلاء المتصوفة قد أولوا عناية شديدة لما يسمى بعلم الباطن وكانوا يعتقدون أنه هو العلم الحقيقي وفي نفس الوقت فإن عنايتهم بعلم الظاهر لم تكن شديدة.

(1) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والعروبة في السودان العربي للنشر 1986، ص294.

والجدير بالذكر أن الإغلبية من السودانين في ذلك العهد انخرطوا في سلك الصوفية حيث المريدين والأتباع لرجال الطرق الصوفية، فانتشرت الطرق الصوفية حتى عمت كل أرجاء السودان وقوي سلطانها على الخاصة والعامة، بل أصبحت قوة كبرى في نشر الإسلام وحضارته وكل ذلك تم بفضل التربة الصالحة والجو المهيأ من قبل سلاطين الفونج وعلماء الدين الإسلامي في السلطنة.

خاتمة:

في مجمل القول يتضح أن الهجرات العربية للسودان كان لها أثر حضاري عظيم في جميع مناحي الحياة ويمكن أن نستنتج الآتي:

أولاً: أن هجرات العرب قبل الإسلام كانت ذات تأثير حضاري عظيم، هذا التأثير لم يكن منحصراً على السودان وآدي النيل فقط بل تعداه وشمل أجزاء واسعة من سواحل أفريقيا

الشرقية وما جاورها من البلدان، الأمر الذي ساعد على نشر الإسلام وحضارته فيما بعد، فالمسلمون عندما هاجروا إلى تلك السواحل وجدوا الطريق ممهد بنشر اللغة العربية وبعض العادات والتقاليد العربية في تلك المناطق.

ثانياً: أن الفتح الإسلامي لمصر كان نقطة تحول مهمة في مسيرة الهجرات الإسلامية العربية تجاه بلاد النوبة على وجه الخصوص وبقية أجزاء السودان على وجه العموم، هذه الهجرات كانت فاتحة لأعظم أثر حضاري في تاريخ السودان ألا وهو انتشار الإسلام وحضارته في السودان بصورة لم يسبق لها مثيل، وهذا الأمر أدى إلى ظهور أعظم الممالك الإسلامية في السودان وعلى رأسها مملكة الفونج الإسلامية.

ثالثاً: أن تأثير دولة الفونج بالدول الإسلامية العربية التي سبقتها في الحكم، في النظم السياسية لا تخطئه العين، فنظام التوريث الذي كان سائداً فيها مأخوذ من الدولة الأموية ومبتدعه معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية إضافة إلى ذلك تمسك الفونج بنظام الشورى وهو أيضاً كان سائداً في الدولة الإسلامية منذ عهد النبوة.

رابعاً: أن حرية العبادة والتسامح الديني الذي ساد في أوساط المجتمع الفونجي حينئذ سهل مهمة المهاجرين العرب سواء كانوا تجار أو دعاة من نشر الإسلام وحضارته في السودان.

خامساً: يعد تعدد الموارد في السودان عاملاً أساسياً لجذب المهاجرين هذا بالإضافة إلى توفير الأمن في ربوع السودان. وفي هذا الشأن قام ملوك الفونج

بدورهم خير قيام، وذلك بتأمين طرق التجارة والموانئ البحرية وغيرها من أماكن تجوال المهاجرين واستقرارهم.

سادساً: أن الطرق الصوفية التي انتشرت في عهد الفونج كانت مظهراً حضارياً عظيماً، فهي عملت على نشر الإسلام في ربوع السودان إضافة إلى ذلك عملت على إزالة العصبية القبلية التي تفشت في أوساط المجتمع آنذاك. فشيخ الطريقة هو مصدر المعرفة والمرشد والمربي لذا إلتف الناس حوله وأخذوا النصح والإرشاد منه، بهذا حل محل الزعيم القبلي الذي كان يدعو إلى عصبية القبيلة لذلك عاش المجتمع في أمن وأمان بفضل تعاليم الصوفية ونصحهم وإرشادهم.

سابعاً: إن الهجرات العربية للسودان نتج عنها عنصراً بشرياً جديداً، هذا العنصر كان نتاج لانصهار المهاجرين من العرب مع الوطنيين السودانيين المقيمين، وهؤلاء حملوا لواء نشر الإسلام وحضارته في ربوع السودان فضلاً عن تمسكهم بالعادات والتقاليد الإسلامية.

التوصيات:

(1) على الباحثين البحث في الدراسات السابقة أسد الفجوات البحثية في تاريخ دولة الفونج.

(2) إنشاء متحف لتاريخ دولة الفونج.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم
- 2- ابن الأثير علي بن محمد، الكامل في التاريخ ج1- الطبقة الرابعك بيروت 1981م.
- 3- أحمد الحنقاوي، السودان وادي النيل في ظل الإسلام، دار المعارف القاهرة 1982م.
- 4- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية القاهرة 1967م.
- 5- الشاطر البصيلي، تاريخ وحضارة السودان الشرقي والأوسط والطبعة الأولى مصر 1972م.
- 6- بابكر فضل المولى، مظاهر الحضارة في دولة الفونج، الطبعة الأولى الخرطوم 2004م.
- 7- عبدالعزيز أمين عبدالمجيد، التربية في السودان، القاهرة 1949م.

- 8- عبدالحميد متولي، تطور نظام الحكم في السودان ج 1 جامعة أمدرمان الإسلامية 1967م.
- 9- عبد المجيد عابدين، تاريخ الثقافة العربية في السودان دار الثقافة القاهرة 1967م.
- 10- عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام و العروبة في السودان العربي للنشر 1969م.
- 11- فانتيني، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة الخرطوم 1978م.
- 12- محمد بن عمر التونسي، تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، المؤسسه المصريه القاهرة 1965م.
- 13- المغربي أحمد بن علي، الخطط المغيزية، مطبعة النيل مصر 1324هـ.
- 14- المسعودي علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر الطبعة الرابعة بيروت 1981م.
- 15- محمد عوض محمد، السودان الشمالي سكانه وقبائله، القاهرة 1951م.
- 16- مكي شيكيه السودان عبر القرون، دار الثقافة بيروت 1964م.
- 17- مكي شيكيه، مملكة الفونج الاسلاميه القاهرة 1963م.

- 18- مندور المهدي، تاريخ السودان منذ اقدم العصور الي قيام الاحزاب السودانية، المطبعة الثانية، الخرطوم 1960م.
- 19- نعم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار الثقافة بيروت 1967م.
- 20- ود ضيف الله محمد النور، كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل، دار النشر الخرطوم 1974م.
- 21- اليعقوبي أحمددين يعقوب، تاريخ اليعقوبي ج 1 القاهرة 1917م.
- 22- يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان، دار النشر الخرطوم (د.ت).